أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا

مركز غزة للسياسات والإستراتيجيات

# الراصد

# شؤون عربية

# 2018/02/25م

مسار النخبة
ELITE TRAKE

# المحتويات


أخبار لا تسر شعوب المنطقة..... 3

في حضرة الجيش اللبناني..... 5

الثورة المضادة تأكل أبناءها..... 8

سورية مختلفة فعلاً..... 13

الحرب على الإسلاميين... تغييرات في تركيبة تحالف الحكم السعودي ..... 16

مركز بيغن-السادات: لا خيار أمام روسيا سوى مواصلة دعم الأسد والتحالف مع إيران وبوتن حقّقّ إنجازات كبيرة بالمنطقة لم تعرفها بلاده منذ سقوط الاتحاد السوفيتي..... 19

في العلاقة بين النُخبة المصرية وثورة 25 يناير..... 22

التطبيع: هشاشات ورخاوات ما بعد الأيديولوجيا ..... 25

عن الغوطة الشرقية وموت الضمير..... 29

عن سوريا وشعبها - إلى من ستتجه أصابع اتهام التاريخ؟..... 31

**فهد الخيطان الغد الأردنية 25\2\2018**

العالم متشائم حيال الوضع في منطقة الشرق الأوسط. مؤتمر ميونخ الأخير توصل لاستخلاصات مقلقة حول الأمن العالمي، وكلها مرتبطة بمنطقتنا.

المجابهة الأميركية الروسية تلقي بظلالها على المشهد الدولي وهناك بالطبع المنافسة الأميركية الصينية.

كل شيء يغدو ممكنا في ظل الإدارة الحالية في البيت الأبيض.

لكن يبقى الشرق الأوسط مصدر القلق الأكبر. سورية تحولت إلى ساحة استعصاء دولي. القوى الدولية والإقليمية تلقي بثقلها هناك، وهي مستعدة أن تذهب لأبعد مدى من أجل مصالحها.

إسرائيل مصممة على التصدي للنفوذ الإيراني، وقد يجر خطأ صغير الطرفين لمواجهة كبرى. خلافات القطبين الرئيسيين؛ واشنطن وموسكو لا تساعد أبدا على احتواء المخاطر.

دخول تركيا رسميا إلى الميدان السوري، يضيف تعقيدا جديدا على المشهد.

المثير للقلق أيضا تراجع قدرة دول الاتحاد الأوروبي على لعب دور مؤثر في صراعات المنطقة والعالم.

في غضون أسابيع ستتحرك الدبلوماسية الأميركية في محاولة جديدة لاحتواء الخلاف بين دول الخليج "السعودية وقطر". في ضوء الموقف الراهن يصعب توقع انفراجة في علاقات الطرفين، لكن إن تحقق ذلك فالهدف الأميركي من ورائه هو حشد دول الخليج خلف سيناريو مواجهة إيران.

إسرائيل تدعم من الخلف وبقوة بناء تحالف شرق أوسطي أميركي لضرب إيران. خيار المواجهة العسكرية على ما فيه من مخاطر يغدو واردا في أجواء الشحن السياسي التي نشهدها حاليا.

العراق على أبواب انتخابات حاسمة، ستؤثر نتائجها إلى حد كبير على مستقبل البلاد، فبالرغم من نجاح حكومة العبادي في حربها المدعومة دوليا ضد "داعش" وتحرير كامل المدن والبلدات التي استولى عليها التنظيم، إلا أن خطر الإرهاب ما يزال قائما، وقد يستغل التنظيم الإرهابي الخلافات السياسية والشلل الحكومي ما بعد الانتخابات للانقضاض من جديد على البنية الاجتماعية الهشة في العراق.

إدارة ترامب مصممة على طرح صفقة القرن لفرض حل للقضية الفلسطينية. بالأمس صرحت مندوبة واشنطن في مجلس الأمن بأن جاريد كوشنير يضع اللمسات الأخيرة على الخطة الموعودة.

ستكون الخطة عنوانا لمواجهة فلسطينية عربية مع واشنطن. لا نعلم بعد إن كانت دول عربية ستدعم الخطة كما تزعم الإدارة الأميركية. لكن في كل الأحوال العلاقات مع واشنطن ستكون على المحك، في ظل الرفض الفلسطيني لتلك الخطة والإصرار الأميركي على طرحها وتنفيذها بالرغم من التحفظات التي تطاول معظم بنودها.

في أي لحظة يمكن أن تشن إسرائيل عدوانا على قطاع غزة. نتنياهو محشور بالزاوية ومصيره السياسي معلق على قرار المستشار القضائي، وقد يغيب عن المشهد السياسي في إسرائيل خلال أسابيع. أمامه فرصة كبيرة للنجاة وقد يدعمها بحرب على أكثر من جبهة.

مصر في لحظة تاريخية فارقة. انتخابات رئاسية تكرس سلطة الرئيس عبد الفتاح السيسي، لكن تحدي الدور الإقليمي مطروح على طاولة الرئاسة بعد الانتخابات فورا، مثلما الوضع الداخلي يزداد إلحاحا.

الشرق الأوسط هي المنطقة الوحيدة في العالم التي لا يمكن رسم خريطة تتنبأ بمستقبلها على المدى القصير، وإذا ما أصر باحث في علم المستقبليات على التصدي لهذه المهمة فلن يجد أخبارا تسر شعوبها.

## في حضرة الجيش اللبناني

**عريب الرنتاوي الدستور 25\2\2018**

أتاح لنا الصديق العميد فادي أبي فرّاج، مدير مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية في الجيش اللبناني، فرصة نادرة للاستماع عن كثب إلى قائد الجيش اللبناني العماد جوزيف عون، متحدثاً في مفتتح مؤتمره الإقليمي الثامن الهام بعنوان "تدعيم الاستقرار والتنمية في العالم العربي والشرق الأوسط"، وبمشاركة العشرات من الباحثين والمفكرين من عشرين دولة شقيقة وصديقة ... الجنرال اللبناني لم يتلعثم للحظة واحدة، وهو يطلق تأكيداته، بأن قواته وضعت على أهبة الاستعداد للتصدي لأي اعتداء إسرائيلي على الغاز والمياه والأراضي اللبنانية، في إشارة منه إلى محاولات إسرائيلية، مدعومة أمريكياً، للاستحواذ على مساحة من "البلوك 9" الغني بالغاز في المياه اللبنانية، ورسم مسار للجدار الذي تبنيه إسرائيل على طول حدودها مع لبنان، ويُراد به اقتطاع مساحات من الأراضي اللبنانية.

وقد لفتني بعض الأصدقاء المشاركين من الدول العربية، أن "نبرة" الجيش تبدو مختلفة عن السائد عربيا في الوقت الحاضر... الحال ليس كذلك في الجيش اللبناني، وهذا ما يجعله عرضة لكل أشكال الحصار والتضييق في التسليح والتجهيز، فثمة قيود صارمة على كمية ونوعية السلاح الذي يتلقاه هذا الجيش الوطني.

يعرف العماد جوزيف عون، مثلما نعرف جميعاً، ان توازنات القوى "النظامية" بين لبنان وإسرائيل، مختلّة تماماً لصالح الأخيرة، لكنه مع ذلك يراهن على أمرين اثنين: أولهما، أن الجيش بأفراده وضباطه، من مختلف الطوائف، بنى عقيدة قتالية على أن إسرائيل أولاً والإرهاب التكفيري ثانياً، هما عدوا لبنان اللدودان، وأن الدفاع عن الوطن والمواطنين في مواجهة هذين العدوين، هو جوهر العقيدة العسكرية لهذا الجيش، وهذا بحد ذاته، يخلق طاقة كفاحية عند منتسبي القوات المسلحة، تسهم في تقليص فجوة التوازنات في العتاد والعديد.

ثانيهما، وربما أهمهما، أن الجيش سيجد إسناداً قوياً من مقاومة حزب الله، المسلحة جيداً والمدربة على أرفع مستوى، والمتوفرة على جاهزية قتالية نادرة، مؤسسة على بعد عقائدي... إسرائيل تخشى تهديد حزب الله، أكثر من أي تهديد آخر، وإسرائيل تنضبط لحالة من "توازن الردع المتبادل" .

اللبنانيون جميعاً، استيقظوا مع اندلاع آخر جولة من جولات النزاع اللبناني الإسرائيلي على حقيقة الأطماع الإسرائيلية في مياههم وغازهم وأراضيهم ... وبعض الذين ظنوا أن مشكلة إسرائيل مع لبنان تنحصر في سلاح حزب الله، اكتشفوا أن الشهية التوسعية الإسرائيلية لا حدود لها ولا قعر ... فأخذوا يبحثون في قرارة أنفسهم، عن الكيفية التي يمكن بها تحصين لبنان في مواجهة هذه العدوانية المنفلتة من عقالها، ووجدوا الجواب في "الردع" الذي يوفره سلاح الجيش والحزب، لا سلاح الدبلوماسية ... هدأت الأصوات التي تتحدث عن "السلاح"، مع أن المناكفات الداخلية تسمح بالعودة إلى هذا الموضوع السجالي الأثير على قلوب بعض اللبنانيين بين الحين والآخر ... لكنك تدرك وانت تتحاور مع اللبنانيين، حتى من خصوم الحزب، أن ثمة "نظرة عقلانية" أكثر وضوحاً بدأت تطل برأسها في ثنايا أحاديثهم وأقوالهم، فلا أحد بمقدوره نزع هذا السلاح بالقوة الغاشمة، وليس لدى لبنان ما يردع به إسرائيل، أفضل من هذا السلاح، سيما ان اتحد بسلاح الجيش وتدثر بغطاء إجماع وطني، أقله في مواجهة الغطرسة الإسرائيلية المدعمّة أمريكياً.

ولقد علمت أن حزب الله أوفد إلى الرئيس العماد ميشيل عون بموفد، حمّله رسائل قوية وواضحة مفادها: نحن قادرون على رد الصاع صاعين، ولدينا ما يكفي لمنع إسرائيل من تنفيذ اعتداءاتها ورد كيدها إلى نحرها، على اعتبار أن هذه ورقة قوة بالغة الأهمية، يتعين الاتكاء عليها في المفاوضات الدائرة عبر قناة ديفيد ساترفيلد أو غيره من المسؤولين الأمريكيين.

الجيش بدوره يدرك هذه الحقائق ويواكبها، وهو الخارج للتو من معركة منتصرة في جرود عرسال مع فلول داعش والنصرة، وهي المعركة التي تولى حزب الله شطراً منها، قبل أن يكمل الجيش شطرها الآخر، وبتنسيق عملياتي وميداني، ما كان لتطهير السلسلة الشرقية وجرود عرسال من التنظيمات الإرهابية، أن يتم من دونه.

اللبنانيون أجمعوا على التنديد بالمحاولات الإسرائيلية لسرقة أرضهم ومياههم وغازهم،... الرؤساء الثلاثة (عون، بري والحريري) تحدثوا بلسان واحد مع تيلرسون في موضوع ترسيم الحدود المائية والبرية ... لا أحد في لبنان غرّد خارج السرب ... توفرت المظلة الوطنية الصلبة للجيش اللبناني، فأطل قائده بخطاب قوي، تناقلته مختلف وكالات الأنباء العالمية، يتحدث فيه عن "أمر عمليات" صدر بالفعل للدفاع عن حدود لبنان ومياهه وثرواته.

لبنان من أصغر الدول العربية مساحة وتعداداً، ولطالما تردد أن قوة هذا البلد في ضعفه، قبل أن تنقلب الآية، وتصبح قوة لبنان في قوته، وقوة لبنان في تعدديته ووحدة إرادته... والإرادة اللبنانية اليوم، موحدة حول حاجة لبنان للصمود والردع، وهما ما يوفرهما الجيش وحزب الله في هذه المرحلة، ومن دونهما لن تحتاج دبابات إسرائيل سوى لساعتين من الوقت للوصول إلى بيروت، وهما – للمفارقة – الساعتان اللتان طلبهما حزب الله من مجلس الدفاع الأعلى، للقضاء على الحفارات والمنشآت النفطية الإسرائيلية التي يمكن أن تسطو على نفط لبنان وغازه.

حزب الله في المقابل، تصرف بكثير من الحكمة هذه المرة، وضع مقدراته في تصرف رئيس الدولة ومجلس الدفاع، وأبلغ العماد ميشيل عون بما لديه وما بمقدوره أن يفعله، وترك قرار الحرب والسلام في عهدة الدولة ... مثل هذا الموقف أراح اللبنانيين جميعاً، الذين طالما شددوا على ضرورة ترك قرار الحرب والسلم للدولة، وأراح حزب الله، إذ أسقط عن كاهله حكاية "التفرد" و"الانفراد" بهذا القرار، وأراح المفاوض اللبناني، الذي صار بمقدوره أن ينتزع في أعقاب كل رحلة من رحلات ساترفيلد المكوكية بين تل أبيب وبيروت، حقاً من حقوقه الوطنية المشروعة، الأمر الذي حدا بوزير خارجية لبنان جبران باسيل للقول بأن الفرصة أمام لبنان لاسترداد حقوقه باتت مفتوحة وأفضل من أي وقت مضى... ألم نكتب قبل بضعة أيام تحت عنوان "يضع سره في أضعف خلقه؟"

# الثورة المضادة تأكل أبناءها

**محمد هنيد الجزيرة نت 25\2\2018**

يكشف المشهد المصري اليوم خاصية تاريخية تتعلق بطبيعة الممارسة السياسية في هرم السلطة، وتتمثل في تشنج ردود أفعال النظام السياسي ومسارعته إلى تصفية خصومه السياسيين، وإخراجهم من المشهد بكل الطرق والوسائل المتاحة.

فليس اعتقال رئيس "حزب مصر القوية" –ومن قبله اعتقال المرشحين العسكريين للانتخابات الرئاسية المصرية– إلا مؤشرا إضافيا على سعي قيادة الانقلاب إلى الإطاحة بكل القوى القادرة على تهديد البناء من الداخل.

وبناء عليه؛ فإن الخلل الذي يصيب الثورات لحظة نشأتها يصيب الثورات المضادة أيضا لحظة تتطورها، فالقول بأن "الثورات تأكل أبناءها" ينسحب منطقيا على الثورات المضادة والانقلابات، وهو ما يسمح بالإقرار التالي: "إن الثورات المضادة تأكل أبناءها مثل الثورات".

يتجاوز هذا المبدأ المجال المصري لينسحب على كامل المجال العربي عامة، بل وعلى مختلف التجارب السياسية في العالم ليشكل مدخلا لقراءة طبيعة التحولات السياسية في المنطقة، كما يساعد على تبين مراحل تطوراتها المستقبلية واستقراء تفريعاتها.

الثورة تأكل أبناءها

هذا المبدأ شائع في الأدبيات الثورية العالمية، وهو يصوّر حالة الصراع والتناحر التي تغلب على القوى الثورية أثناء الثورات أو بعدها، فتتقاتل ليستتب الأمر إلى فريق دون آخر ولقائد دون آخرين.

وقد عبّرت هذه المقولة الخالدة عمّا اعترى الثورة الفرنسية وحدث بين أبنائها من تقاتل وتناحر، وما أعقبها من مجازر وجرائم أودت بالمنجز الثوري في حينه، ومكّنت من عودة النظام القديم.

تظهر علوية هذا المبدأ في أنه ينسحب على تجارب ثورية عديدة؛ فبعد انتصار الثورة البلشفية، وإثر وفاة قائدها المؤسس لدولتها (الاتحاد السوفياتي) فلاديمير لينين، تتبع جوزيف ستالين الرفيق ليون تروتسكي في منفاه بالمكسيك وقام بتصفيته في أغسطس/آب 1940.

شهدت الانقلابات التي عرفتها الأقطار العربية –في خمسينات القرن العشرين وخلال تأسيس ما اصطُلح على تسميته "الدولة الوطنية"– تصفيات وإعدامات، وعمليات قتل تدخل جميعها تحت مبدأ "الثورة تأكل

أبناءها". ففي مصر والعراق وليبيا وسوريا وتونس والجزائر؛ قامت القوى الانقلابية أو الثورية بتصفية بعضها البعض ليستتب الأمر لإحداها دون الأخريات.

ففي مصر مثلا تخلص جمال عبد الناصر من محمد نجيب ومجموعته، وفي الجزائر تمت تصفية مجموعات ثورية كثيرة ليستتب الأمر لهواري بومدين. وأما العراق وسوريا؛ فبعد سلسلة انقلابات في البلدين نجح كل من صدام حسين وحافظ الأسد في الاستحواذ على السلطة، وتصفية كل المجموعات المعارضة لهما.

وفي مواجهة ثورات الربيع التي ضربت أسس النظام الاستبدادي؛ تأسست الثورات المضادة التي نجحت – إلى حد كبير – في تعطيل المدّ الثوري والحدّ منه.

وتتباين نِسب النجاح من قُطر إلى آخر في تحقيق الانقلاب على المنجز الثوري، وهي نسب تتوزع على سلّم تقع الثورة المصرية أعلاه وتتنزّل أسفله الثورة التونسية، بما أنها هي أصلب النماذج صمودا في وجه الثورة المضادة.

فقد حققت الثورة المضادة بمصر –بقيادة المؤسسة العسكرية– نجاحا كبيرا في الإطاحة الكاملة بالتجربة الثورية. أي أن الثورة المضادة تمكنت من إخراج قوى الثورة جميعها من المشهد، بل وزجت بها في السجون والمعتقلات والمنافي، مستعيدةً بذلك كامل المجال الذي كان يؤثثه النظام الاستبدادي.

لكن لا بد هنا من الإشارة إلى أن هذا النجاح لا يشمل مجال الوعي أو المجال الفكري غير الملموس، أي أن نجاح الثورة المضادة في مصر وتمكنها من إعادة العسكر إلى حكم ابلاد إنما يقتصر على مجال الواقع السياسي والاجتماعي، ولا يشمل مجال الأفكار والوعي والبنى النظرية المصاحبة له.

ففي تونس –التي هي أقل نماذج نجاح الثورة المضادة تمثيلا– لم يتيسر استنساخ المنوال المصري، رغم كل محاولات قوى الدولة العميقة، وكل المال الذي ضخّته الإمارات خاصة للإجهاز على التجربة التونسية. لكن الصراع لا يزال قائما بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة، بعد أن فشلت أغلبية المحاولات في الإطاحة بالمنجز وتخريب المرحلة الانتقالية.

أما المنوالان السوري والليبي فرغم تباينهما النسبي فإنهما يشتركان في خاصية التسلّح التي غلبت على سلوك الثورات المضادة، وقد نجحت في تحويل التجربتين من مطالبة سلمية بالحرية والانعتاق إلى تجارب مسلحة.

الانقلابات تأكل أبناءها

إن ما يلفت الانتباه اليوم هو أن الانقلابات تعيد إنتاج خصائص الفعل الثوري نفسه، وهو ما يسمح بالإقرار بأن التآكل الداخلي سمة مميزة لكل أنواع التحولات الاجتماعية والسياسية. وتتأتى صلابة هذا الإقرار من تطورات المشهد المصري الناشئة، ومن إفرازات مساره الانقلابي.

فالتآكل والتفتت والتصدع خطر يهدد كل التجارب الثورية، سواء تعلق الأمر بالثورة أو بالثورة المضادة، بما هي فعل سياسي واجتماعي بالدرجة الأولى.

ففي مصر يسعى الجنرال الانقلابي هناك إلى الإطاحة بكل أنواع التهديد التي يمكنها أن تعطل استعادته للسلطة بشكل كامل ونهائي، أو تلك التي يمكنها أن تعوق سيطرته المطلقة على كل مفاصل الدولة.

ولا يتأتى هذا الهدف –الذي هو أسمى أهداف الانقلابات– بدون عمليات قسرية تَستعمل فيها الآلياتُ الانقلابية كلَّ أنواع القمع والإكراه، بشكل يصل إلى جرائم القتل والاغتيالات والتصفيات الجسدية.

لكن خطورة هذا الفعل تكمن في أنه يشكل انقلابا داخل الانقلاب أو انقلابا على الانقلاب. وجوهر الخطر هو أن الانقلاب يحدث على المنجز الانقلابي بنفس الوسائل الانقلابية وبنفس المنطق الانقلابي.

فالشيطنة الإعلامية التي تصاحب الاعتقالات الأخيرة في مصر مثلا (كالاتهام بالخيانة والأخونة والتطرف ودعم الإرهاب)، إنما تشكل نفس الآليات التي استُعملت بداية في الانقلاب الذي أطاح بالرئيس المنتخب ديمقراطياً صيفَ 2013.

أما في تونس؛ فإن معسكر الثورة المضادة يشهد –منذ انتخابات 2011– احتداما متواصلا لتناحر القوى الانقلابية فيما بينها. فبعد تشقق الطيف الحاكم القديم في أشكال حزبية وقوى سياسية مختلفة؛ أصاب التشرذم القوى المنقسمة نفسها، فحزب "نداء تونس" مثلا –الذي يُعتبر الممثل الحقيقي للدولة العميقة الرسمية– انقسم في أكثر من مناسبة، سواء في واجهته السياسية أو في تمثيله البرلماني أو في أذرعه المالية.

بل إن قوى أخرى محسوبة على الدولة العميقة –التي لا تقتصر فقط على الحزب الحاكم القديم– عرفت هي الأخرى تصدعات كبيرة، مثل الأحزاب الدستورية واليسارية خاصة.

لكن رغم الطابع الانتهازي لهذه الأحزاب –التي لا يتجاوز عددُ منخرطيها أحيانا أصابعَ اليد الواحدة– فإن القوى الخارجية التي صنعتها وموّلتها في أحيان كثيرة –حسبما أظهرته التحقيقات الأخيرة– لم تنجح في السيطرة المطلقة عليها.

فالحزب المموّل إماراتياً –وهو المنشق عن حزب "نداء تونس"– لم ينجح في إنجاز المطلوب منه خارجيا، بتحقيق انقلاب على المنجَز الثوري وضرب المسار الانتقالي؛ بل تحول –في مناسبات كثيرة– إلى خصم عنيد للحزب الحاكم، رغم أنهما ينتميان إلى نفس بنية الدولة العميقة.

الحرية ترياق الانقلابات

يمثل مطلب الحرية سقف المشاريع الثورية، وهو يشكل كذلك الركيزة الأساسية للمشروع الثوري بوصفه مطلبا تحرّريا ينشد الانعتاق والخروج من سلاسل الاستعمار والاستبداد. وبناء عليه؛ فإن أعلى المطالب الانقلابية هو منع مبدأ الحرية من التشكل واقعا، لأنه نقيض المطلب الثوري كما يظهر ذلك في المنطقة العربية اليوم.

إن طبيعة تطور كل انقلاب –بعد أن يطيح بالنظام القائم ثوريا كان أم غير ثوري– تقضي بأن ينقلب رأس الانقلاب على المجموعة الانقلابية التي أوصلته إلى السلطة، وهو ما يسمى في الأدبيات السياسية "حرب الأنداد" أو "الحركة التصحيحية"، حسب المعجم البعثي في سوريا.

هذا الصراع يكون أساسا بين أطراف من نفس النسق السياسي أو العسكري أو الأمني، وعادة ما تساعدهم قوى خارجية هي التي تختار الرأس الانقلابي الجديد حسب المتبع.

وفي هذه اللحظة؛ يقوم المشروع الانقلابي بتصفية نفسه من الداخل بتنقية بنائه السياسي والأمني، وهي مرحلة ضرورية وهامة لأنها تحسم الصراع داخل بينة النظام الجديد، وتمهد لمرحلة طويلة وقاسية من الحكم الاستبدادي بعد رسوخ قدم النظام الناشئ.

وتأسيسا على ذلك؛ فإن حضور قوى المعارضة الحقيقية أو القوى الثورية في هذا المشهد إنما يمثل خطأ ثوريا جسيما. إن حضور الفاعلين الثوريين في مشهد انقلابي داخلي لا يسمح إلا بتوفير حظوظ أنشط لنجاح الفعل الانقلابي.

تتفق قوى الثورة المضادة –في كل مجال الربيع العربي اليوم– على وصم القوى الثورية بنفس الأوصاف: كالإرهاب والأخونة والتطرف، وبيع البلاد للأجنبي والارتهان للقوى الخارجية، وهي نفس لائحة الاتهامات التي تظهر في كل الخطابات الانقلابية مهما تغيرت صيغتها وتباينت.

إن مبحث الانقلاب هنا هو الحصول على عدو داخلي يسمح له بتأسيس خطابه، الذي يتلبس بلباس الإنقاذ والخلاص على أنقاض المقولات الثورية.

إن حضور الإخوان مثلا في المشهد المصري اليوم إنما يقدم خدمة جليلة لخطاب دولة العسكر العميقة، بل ويساعد على شحنه مجددا، ودليل ذلك سعي الخطاب الانقلابي نفسه إلى استدعاء صورة الإخوان في كل المنابر وفي كل التهم التي يوجهها إلى خصومه الذين هم حلفاء الأمس وأعوانه.

وبناءً عليه؛ فإنه إذا كان الهيكل الانقلابي محتاجا في وجوده إلى شيطنة المعارضة الحقيقية، فإنه يجب على القوى الثورية أن تخرج من الصراع الانقلابي الداخلي وألا تكون طرفا فيه، لأن غيابها يساعد على التسريع بتصدع البناء الانقلابي من الداخل.

في سنوات التسعينيات وبعد أن دشن زين العابدين بن علي انقلابه الطبي على العجوز الحبيب بورقيبة؛ كان يحتاج إلى كبش فداء لترسيخ قدمه الانقلابية بتصفية الحرس القديم التابع لنظام بورقيبة، فوفرّه له الإسلاميون هذا الكبش عندما دخلوا في صدام مع السلطة، انتهى بتصفيتهم وبدخول تونس حقبة استبدادية دامت قرابة ربع قرن.

يحمل كل برنامج انقلابي شروط فنائه في داخله، وهي شروط تتطور وتتفاعل طبيعيا لتنتهي بسقوط الانقلاب جملة. وإن أفضل ما يمكن فعله للتعجيل بتفاعل شروط سقوط البناء داخليا لأي انقلاب هو الامتناع عن مواجهته مباشرة، وبشكل قد ينتج عنه تحفيز شروط البقاء عنده ليدفعه ذلك حتما إلى تجديد خلاياه والانبعاث من جديد.

# سورية مختلفة فعلاً

**خالد الدخيل الحياة 2018\2\25**

في 31 كانون الثاني (يناير) 2011 قال الرئيس السوري بشار الأسد في إجابة على أحد الأسئلة إن سورية تختلف عن تونس وعن مصر، وإنها بالتالي بمنأى عما يحصل لهذين البلدين. قال ذلك في سياق حديث مطول مع صحيفة الـ «وول ستريت جورنال» الأميركية. حينها كان الربيع العربي في بدايته. في ذلك التاريخ كان الرئيس التونسي زين العابدين بن علي هرب. الرئيس المصري حسني مبارك كان على بعد 11 يوماً من التنحي. أما بشار الأسد فكان وهو يتحدث للصحيفة الأميركية على بعد شهر ونصف الشهر تقريباً قبل أن تدق موجة الثورة أبواب الشام. استغرب البعض كيف أن هذا الربيع بطموحاته وأهدافه بدأ في تونس وليس في سورية. والأرجح أن الرئيس السوري نفسه كان لا يقل دهشة وفي الوقت ذاته أكثر خوفاً من ذلك. ومع أن الشام كانت آخر محطات موجة الربيع إلا أن خوف الأسد تغلب على دهشته. والخوف أحد مصادر التوحش.

كان الأسد محقاً في ما قاله عن اختلاف سورية، لكن بمعنى لم يصرح به في إجابته. كان في حديثه يبعث برسالة مبطنة إلى السوريين بعدم الانجرار وراء إغراءات الموجة. وكشفت الأحداث هذا المعنى المبطن بأن سورية لم تختلف عن مصر وتونس. ما اختلف لم يكن المجتمع، ولا الناس، وإنما النظام السياسي السوري برئيسه الوريث، وبجيشه وأجهزته الأمنية المتسربلة بعقائدية جعلتها في مواجهة مع الناس منذ 1970. على مدى سبع سنوات من القتل والتدمير الممنهج تبين أن النظام كان يتربص بالشعب، ويتسلح خوفاً من الشعب.

السؤال الذي يثير حيرة المراقبين: كيف لنظام يمارس في حق شعبه هذه البشاعة ويمعن فيها كنهج ثابت، وبدم بارد؟ هناك سؤال ثان لا يقل أهمية: كيف يمكن تفسير الموقف الأميركي مما يحدث لسورية تحديداً؟ لماذا واشنطن مهتمة بالعراق، وليس بسورية وما يحدث لشعبها من مذابح؟ لا حاجة للسؤال عن الموقفين الروسي والإيراني. فالإجابة معروفة على رغم اختلاف هدف كل منهما من وراء الولوغ في الدم السوري.

نبدأ بالسؤال الأول. عندما تقارن نهج النظام السوري في التعامل مع الشعب السوري، حتى قبل أن يولد بشار الأسد، مع النهج الإسرائيلي في التعامل مع الشعب الفلسطيني، ستجد تماثلاً كبيراً بينهما. هو نهج شرس يتسم بالقسوة والدموية لوأد واستئصال أي معارضة لسياسة النظام. في إسرائيل النظام في حال

صراع وجودي مع الفلسطينيين على الأرض. في سورية النظام يعتبر نفسه في حال صراع وجودي مع الشعب ليس على الأرض، وإنما على الحقوق في السياسة والحكم. المشترك بين النظامين السوري والإسرائيلي هو شعور متمكن بالخوف من أقلية قد تستغل أية ثغرة، في أية لحظة، لتنقض من خلالها. وناتج ذلك حساسية أمنية مفرطة لأقلية تمسك بالحكم أمام غالبية كاسحة تشكل في نظر الأقلية مصدر خطر دائم. الإسرائيليون، حكومة وشعباً، يجدون أنفسهم أقلية صغيرة أمام شعب تحت الاحتلال. لكن لهذا الشعب امتدادات قومية ودينية على طول العالم العربي وعرضه. في سورية تحول الحكم بعد 1970 إلى حكم وراثي داخل عائلة علوية، أي تنتمي لأقلية صغيرة. وتبدت ذهنية الأقلية الحاكمة وعلاقتها بالغالبية في أجلى صورها في النموذجين الإسرائيلي والسوري. الأب الروحي لليكود الإسرائيلي زئيف جابوتنسكي أعطى اسماً لهذه الذهنية هو «الجدار الحديدي». يقول في مقالة له عام 1923: «يمكن للاستيطان أن ينمو تحت حماية قوة لا تعتمد على السكان المحليين، بل خلف جدار حديدي هؤلاء السكان أعجز من أن يسقطوه». (انظر The Iron Wall Avi Shlaim, 2000, 13–16) وهو يعنى بالجدار الحديدي قوة الحديد والنار. المفارقة هنا أن علاقة القوة هذه في الحال الإسرائيلية هي علاقة مستوطنين بشعب محتل، وفي الحال السورية هي علاقة نظام حاكم بشعبه، أو ما يفترض أنه كذلك. في هذا الإطار إذا كان الإسرائيليون ينظرون للسياسة الخارجية من زاوية أمنية قبل أي شيء آخر، فإن النظام السوري ينظر للسياسة الداخلية (وليس الخارجية) من الزاوية ذاتها قبل أي شيء آخر.

ماذا عن حكاية المقاومة التي يرددها النظام السوري؟ أمام هذا السؤال ضع نصب عينيك الملاحظات التالية: أن النظام المقاوم لا يعتمد على علاقة قوة مع شعبه كالمشار إليها، ولا يمكن أن يستعين بقوات وميليشيات أجنبية ضد شعبه. فهذه الاستعانة تعني أنه يفتقد قاعدة شعبيه تغنيه عنها، وأنه يتعامل مع شعبه على أنهم أعداء وليسوا مواطنين. ثم كيف لنظام مقاوم أن يطبق في حق شعبه وهو في حال حرب مع العدو مبدأ «إما أن أحكمكم أو أقتلكم»؟ هذا مبدأ سافر للجريمة وليس للمقاومة. والجريمة والمقاومة لا تجتمعان في عقل نظام واحد. وإذا كانت المقاومة هي من أجل الحرية، فالنظام السوري لا يعترف أصلاً بحق للسوريين في الحرية أو في الأمن. والشاهد على ذلك مجازره منذ حماة عام 1982، وفي المعتقلات، وصولاً إلى المجازر المتنقلة بعد الثورة يقترفها بتعمد وإصرار، وآخرها ما يحدث لغوطة دمشق هذه الأيام. في هذا السياق ستلاحظ أن عدد من قتلهم النظام السوري من السوريين حتى قبل الثورة يفوق من استشهد

منهم أمام الإسرائيليين. أما بعد الثورة فإن ضحايا النظام من السوريين فقط خلال سبع سنوات (فقط) يفوق بمرات ضحايا الجيش الإسرائيلي من كل العرب خلال 70 سنة من الصراع والحروب.

عندما نأتي للموقف الأميركي سيكون علينا ملاحظة عامل الموقع الجيو– استراتيجي قبل غيره لكل من العراق وسورية. وليس غريباً أن يتكامل هذا الموقف في عدم مبالاته بمصلحة السوريين مع موقف النظام. كانت سورية ولا تزال تحتل موقعاً أقل أهمية من العراق بالنسبة لواشنطن. فالعراق بالنسبة للأخيرة فضلاً عن أنه أغنى وأكثر قوة من سورية، يقع بين إيران، وجنوب شرقي آسيا، وامتداد روسيا شرقاً، وبين الخليج والجزيرة العربية غرباً. وهذا موقع مهم للولايات المتحدة، خصوصاً بعد تصاعد النمو في آسيا الباسيفيكية، لا سيما تنامي قوة الصين في شكل متسارع، إضافة إلى عودة روسيا للمنطقة وطموحات إيران النووية. في المقابل تقع سورية بين إسرائيل وتركيا. وكل منهما قوة عسكرية ضاربة، وحليف لواشنطن، وبالتالي تشكلان معاً حاجز مراقبة دائمة على سورية يخفف من أعباء الدور الأميركي في المنطقة. يضاف إلى ذلك أن سورية يحدها من الشرق العراق، ومن الجنوب الأردن تليه السعودية ومصر، وكلها بلدان صديقة لواشنطن. هذا ما يفسر إلى حد كبير تسليم أميركا الملف السوري لروسيا وانكفائها حتى الآن عن الدخول عسكرياً في شكل كبير في الصراع الدائر هناك. المربك في السياسة الأميركية عدم تبلور موقفها استراتيجياً وبدرجة واضحة من إيران وميليشياتها في سورية والعراق معاً.

تبدو سورية مختلفة بالفعل. لكنه اختلاف النظام بطبيعته العقائدية وتركيبته السياسية التي جعلته في حال صدام دائم مع المجتمع يتدانى أمامه الصدام مع الخارج، خصوصاً إسرائيل. يبدو أن حافظ الأسد كان مدركاً لهذه المفارقة القاتلة. لذلك حاول التخفيف منها بالاحتفاظ بغطاء عربي، إلى جانب التحالف مع إيران. انقلب الموقف مع بشار الذي دفعه التوريث للتضحية بالغطاء العربي لمصلحة التحالف مع إيران. وعندما جاءت الثورة أرغمه هذا التحالف على إعادة سورية إلى ساحة صراع غير مسبوق بين قوى إقليمية ودولية فقد معه سيطرته على القرار. سورية مختلفة، ولذلك تدفع ثمناً قاسياً لنظام مختلف بعقيدته وأهدافه وتحالفاته.

## الحرب على الإسلاميين... تغييرات في تركيبة تحالف الحكم السعودي

**الكويت - العربي الجديد 25\2\2018**

"لن نضيع 30 سنة أخرى من حياتنا في التعامل مع أفكار متطرفة... سوف ندمرهم اليوم وفوراً". كانت هذه كلمات ولي العهد السعودي، الحاكم الفعلي للمملكة، الأمير محمد بن سلمان، والتي ألقاها خلال مؤتمر تدشين مدينة "نيوم" الذكية في أكتوبر/تشرين الأول الماضي، إيذاناً بأن الحرب على التيار الإسلامي، الذي عرف بتيار "الصحوة"، أصبحت حرباً رسمية تشترك فيها الدولة، بكل أجهزتها الأمنية والإعلامية والاقتصادية.

وتأسست الدولة السعودية الأولى عبر حلف سياسي وديني بين أمير الدرعية، محمد بن سعود، والمصلح الديني، محمد بن عبد الوهاب، في عام 1744، تعهدت فيه أسرة آل سعود بتطبيق التعاليم الوهابية والحفاظ عليها والقتال من أجلها. واستمر هذا الحلف، متخذاً طابعاً أكثر تشدداً في الدولة السعودية الثانية والثالثة التي أنشأها الملك عبد العزيز آل سعود، والد الملك الحالي سلمان بن عبد العزيز. لكن الدولة الحديثة، التي أتت في أعقاب وفاة الملك المؤسس وفي ظل حكم الملك سعود، ثم الملك فيصل، قامت بترسيخ سياسات أكثر ليبرالية في التعليم والفن والسياسة، وهو ما أدى إلى تشكل تيارات دينية غاضبة، رأت أن الدولة السعودية تخلت عن تعهدها حماية السلفية الوهابية. ونمت هذه التيارات بشكل عفوي وغير منظم، وفي غفلة عن الحكومة داخل الجامعات والمساجد وفي الجيش والشرطة، وبين أبناء القرى النائية والمدن الكبرى، إلى أن انكشفت حادثة جهيمان العتيبي، وهو جندي في جهاز الحرس الوطني (الجيش القبلي)، كتب عدة رسائل في فترة السبعينيات، قال فيها إن الحكومة السعودية تخلت عن حماية الدين وصارت تنتهج سياسة تغريبية، وأن الدين في السعودية بدأ يضعف، ما يؤدي إلى اقتراب موعد يوم القيامة. لكن هذه الرسائل لم تُؤخذ على محمل الجد، ولم تتبين السلطات خطرها حتى اقتحم جهيمان و200 مقاتل معه الحرم المكي، في نوفمبر/تشرين الثاني في عام 1979، وأعلنوا تنصيب المهدي المنتظر، وقاتلوا السلطات السعودية طوال 13 يوماً حتى استسلامهم وإعدامهم بعد ذلك.

وخلقت هذه الحادثة ردة فعل كبيرة للسلطات السعودية، إذ تنبهت، للمرة الأولى، إلى خطر التيارات الإسلامية، ومدى سهولة انتشار فكر جهيمان بين أفراد المجتمع السعودي المحافظ قبل حادثة احتلال الحرم، ما جعلها تنتهج سياسة "احتواء التدين"، إذ قامت بإطلاق يد مئات رجال الدين في الفضاء العام،

كما أنها شجعت، وبشكل رسمي، آلاف الشباب السعودي على الاتجاه إلى أفغانستان لقتال الاتحاد السوفييتي هناك، بدلاً من أن تقوم بمحاربة هذا التدين، لتعاد حادثة جهيمان في موضع آخر. لكن هجوم 11 سبتمبر/أيلول 2001، واكتشاف أن العملية قد مولت وخططت ونفذت من غالبية سعودية داخل تنظيم "القاعدة"، أدت إلى أوامر أميركية للسعودية بتعديل المناهج الدينية والتضييق على مدارس تحفيظ القرآن وبمراقبة أكبر لنشاط الدعاة السعوديين الإسلاميين في الخارج، والذين كانوا يعدون القوة الناعمة للسياسات السعودية. لكن السلطات استطاعت تجاوز هذا المأزق عبر التشديد على الإسلاميين المعارضين لها، مثل سلمان العودة وسفر الحوالي، الذين اعتقلوا في تسعينيات القرن الماضي بتهمة معارضة النظام بعد تقديمهم لعريضة طالبوا فيها بإصلاحات سياسية، وإغداق المنح والعطايا على الهيئات الإسلامية التي كانت تصنف بأنها موالية للنظام، واستمرار إطلاق يد هيئة كبار العلماء وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفضاء العام، مدعية بأنهم يمثلون الإسلام الحقيقي غير المتطرف.

ما الذي حدث في عهد بن سلمان؟

اختار بن سلمان تجاوز هذا الحلف والتوقف عن دعم التيار الديني بكافة أشكاله، حتى الموالي له، عبر تجميد عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع رئيس هيئة كبار العلماء والمفتي العام للبلاد، عبدالعزيز آل الشيخ، من الظهور واتخاذ قرارات استفزت التيار المحافظ الموالي له، مثل السماح للمرأة بقيادة السيارة والاختلاط مع الرجال، وهو أمر كان ملوك السعودية السابقون يعدونه محرماً وشائناً، لينزع بذلك محمد بن سلمان، للمرة الأولى، الغطاء الديني عن حكم أسرته، ما يعرضها لخطر كبير في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية للبلاد عقب رفع أسعار الوقود وفشل الحرب على اليمن وحصار قطر.

وقالت الأكاديمية والمعارضة السعودية، الدكتورة مضاوي الرشيد، "كان الملوك السابقون يلجأون للحصول على الشرعية إلى سرديتين، الأولى هي إعلان التزامهم بالنظام الإسلامي بينما الثانية هي تسليط الضوء على التنمية والرخاء. لم يعد بإمكان محمد بن سلمان الاعتماد على أي من هذين الأمرين لتثبيت ملكه وضمان تأييد الآخرين له ودفاعهم عنه". وأضافت "لقد أقصى الإسلاميين، وألقى القبض على أبرز رجل دين فيهم، بينما تبدو خططه للتحول الاقتصادي بعيدة المنال وغير قابلة للتحقيق في المدى المنظور. والخلاصة هي أن المملكة العربية السعودية تتجه نحو منعطف لا يمكن التنبؤ به قد يصبح مشكلة بالغة الخطورة".

وأتت حملة الاعتقالات التي قادها جهاز أمن الدولة التابع لولي العهد في سبتمبر/أيلول الماضي، والتي شملت أكثر من 200 معارض وأكاديمي واقتصادي وأديب غالبيتهم ينتمون أو يتعاطفون مع التيار الإسلامي، ومنهم سلمان العودة، لتدفع بالصف الثاني والثالث من الإسلاميين الشباب إلى تبني خطاب أكثر حساسية تجاه النظام السعودي. إذ بدأت تنتشر الكتابات والمقالات الصحافية المجهولة التي تدعي أن النظام بدأ يقود "خطة تغريبية"، عبر بناء المسارح الغنائية ودور الأوبرا لإلهاء الشعب عن المآسي الاقتصادية وسياسة تحرير السوق التي ستقوم بها رؤية 2030 بقيادة ولي العهد، ما يعيد إلى الأذهان الظهور الأول لجهيمان العتيبي ورسائله التي كانت مهملة ولم يكن يلقي لها أحد بالاً.

ولم يقتصر الأمر على المقالات المجهولة، بل امتد إلى تنظيم الندوات الدينية التي كانت تقام في أماكن سرية وبحضور منتقى بعناية، خوفاً من اعتقالات السلطات، ما فتح المجال لتوليد نقد أكثر حدة تجاه الفشل السياسي والاقتصادي الذي تعيشه السعودية، وأجبر الآلاف من أئمة المساجد، الذين كانوا يفضلون الحديث عن التدين بدلاً من السياسة، على الانجرار لها نصرة للمعتقلين المنتمين لنفس تيارهم. ويقول المعارض والناشط السياسي السعودي، يحيى عسيري، لـ"العربي الجديد"، إن الجماهير الغاضبة، وهي تشاهد قرار هيئة الترفيه استثمار 64 مليار دولار في بناء المسارح ودور الأوبرا، ستزداد غضباً في ظل الفقر الذي بدأ يظهر على السعوديين عقب الإعلان عن سياسات رؤية 2030، وسيؤدي بهم إلى التحالف مع التيار الإسلامي مرة أخرى، كما حدث في بلدان عربية أخرى، ما يؤدي لعواقب كارثية.

## مركز بيغن-السادات: لا خيار أمام روسيا سوى مواصلة دعم الأسد والتحالف مع إيران وبوتن حقّق إنجازات كبيرة بالمنطقة لم تعرفها بلاده منذ سقوط الاتحاد السوفيتي

**الناصرة–"رأي اليوم"– من زهير أندراوس: 2018\2\25**

رأت دراسة صادرة عن مركز بيغن–السادات للدراسات الإستراتيجيّة، التابع لجامعة تل أبيب، رأت أنّه مع عدم وجود حلٍّ سياسيٍّ أوْ عسكريٍّ واضح في الأفق في سوريّة، فإنّ روسيا ليس لديها خيار سوى الاستمرار في دعم الرئيس الأسد والحفاظ على قوات كبيرة في سوريّة، كما أنّ صنّاع القرار في موسكو لا يُمكن أنْ يدفعوا إيران للخروج من هذا البلد العربيّ، ولا يستطيعون إيقاف الهجوم التركيّ على الأكراد، وعليه، أضافت الدراسة، فإنّ الطائرات الروسية التي تُساعد الأسد في "ذبحه بالجملة" للمقاتلين والمدنيين تُعزز الكراهية العميقة الجذور التي قد تؤدّي إلى حرب عصاباتٍ ضدّ القوات الروسيّة، مما يؤدي إلى تزايد عدم الرضا في روسيا، ومن الناحية الأخرى، شدّدّ مركز الدراسات الإسرائيليّ على وجود تهديدٍ إضافيٍّ يتمثل بمواجهةٍ كاملةٍ وشاملةٍ بين إسرائيل وإيران من خلال وكيلها السوريّ، على حدّ تعبيره مُعّد الدراسة.

ولفتت الدراسة إلى أنّه من ناحية، وصلت روسيا إلى هدفها الرئيسيّ: إنشاء قواعد بحرية وجوية على البحر الأبيض المتوسط، واستعادة مكانتها كقوةٍ عالميّةٍ كبرى تنافس قوّة الولايات المتحدة، ولكن من الناحية الأخرى، فإنّ الكرملين يتخبط في مستنقع الحرب الأهليّة السوريّة، مُوضحةً في الوقت عينه أنّ المصالح الإقليميّة المتضاربة بين روسيا وإسرائيل، على الرغم من العلاقات الإيجابيّة الأخرى بين الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين ورئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، ليست سوى جانب واحد من المشكلة، بحسب قولها.

علاوةً على ما ذُكر آنفًا، أشارت الدراسة الإسرائيليّة إلى أنّ سوريّة أصبحت ساحة لعب للدول الإسلاميّة والعربيّة الكبرى مثل إيران وتركيا والسعودية، وكلّها عازمة على تعزيز الخطط الإستراتيجيّة البعيدة المدى، التي تُهدد سلامة واستقرار سوريّة، واستمرار وجود روسيا هناك.

وشدّدّت الدراسة أيضًا على أنّ إيران تبذل جهدًا شاملاً لتأسيس نفسها في البلاد، وتُهدد إسرائيل وتحقق حلمها بـ"الهلال الشيعيّ" في الشرق الأوسط، فيما تركيّا مصممة على منع إنشاء منطقة حكمٍ ذاتيٍّ كردية في سوريّة، الأمر الذي سيُشجع حزب العمال الكردستانيّ التركيّ على تجديد سعيه إلى الحكم الذاتيّ، بحسب الدراسة الإسرائيليّة.

وفي الوقت نفسه، أردفت الدراسة، فإنّ الحرب ضدّ تنظيم "داعش" الإرهابيّ المُتوحّش لم تنته بعد، على الرغم من القوّة الناريّة الروسيّة التي أدّت إلى تحولٍ إستراتيجيٍّ وخلصت نظام الرئيس بشار الأسد من الهزيمة في الحرب الأهليّة.

إلّا أنّ التطورات السياسيّة والعسكريّة الأخيرة، تابعت الدراسة، أظهرت أنّ روسيا لم تعد قادرة على ضمان استقرار النظام، ومع ذلك، يعرف بوتين أنّه يجب عليه مُواصلة دعم الأسد، على الرغم من الأمل المتضائل في التوصل إلى حلٍّ سياسيٍّ، وتحوّل هذا الأمل إلى هدفٍ بعيد المنال.

ولفتت الدراسة إلى أنّ السياسة المُعلنة للرئيس الأمريكيّ السابق، باراك أوباما، كانت الابتعاد عن الشرق الأوسط، كما أنّه رفض تسليح وتدريب قوات المعارضة في المرحلة الأولى من الحرب الأهلية السوريّة، الأمر الذي خلق فراغًا سياسيًا استغلته قوى أخرى، واهتّم أوباما بالتوصّل لاتفاقٍ نوويٍّ مع إيران، وغضّ الطرف عن تعديات إيران في سوريّة، ورفض حتى تعهده بالتدّخل في حال استخدام الأسد للأسلحة الكيميائية، بحسب زعم الدراسة الإسرائيليّة.

وتابعت الدراسة قائلةً إنّه منذ سقوط الاتحاد السوفييتي، كانت روسيا غائبة عن الشرق الأوسط، واستغل بوتين الفرصة للعودة، وعلى الرغم من أنّه حقّق نجاحات كبيرة، مثل وضع القواعد الجوية والبحرية، سيكون من الصعب عليه أنْ يفتخر بانتصارٍ في الوقت المناسب للانتخابات الرئاسيّة الروسيّة التي ستجرى في 18 إذار (مارس) المقبل. ومن ناحية أخرى، تابعت الدراسة، سيتعرّض بوتين لضغوطٍ شديدةٍ للوفاء بالوعد بإعادة معظم قواته التي أعلن عنه في كانون الأوّل (ديسمبر) الماضي خلال زيارة لقاعدته الجويّة في حميميم السوريّة.

وبرأي الدراسة، لا تُظهر قوات المعارضة المتمردّة أيّ علامة ضعف، فمؤخرًا أسقطت طائرة سوخوي روسية وأرسلت طائرات بدون طيار لقصف القواعد الروسية، وأسقطت الطائرات بدون طيار، ولكن المعركة لم تنته بعد.

في شمال سوريّة، لفتت الدراسة، هزمت قوات سوريّة الديمقراطيّة، المدعومة أمريكيًا، الدولة الإسلامية وتسيطر الآن على نحو 30 ألف كيلومتر مربع من الحدود التركيّة إلى الحدود العراقية، مُشدّدةً على أنّ وزير الخارجية ريكس تيلرسون صرحّ يوم 17 كانون الثاني (يناير) الماضي أنّه لا توجد خطة لإنهاء الوجود الأمريكيّ هناك، وإعادة المنطقة إلى الحكومة السوريّة المركزيّة حتى يتّم تشكيل نظامٍ مستقرٍ.

واختتمت الدراسة متسائلةً: هل يُمكن للرئيس الروسيّ أنْ يبقى محايدًا إذا أدّى استفزاز إيرانيّ آخر إلى ردّ فعلٍ إسرائيليّ إضافيّ وربمّا أقوى، من ردّ الفعل الذي قامت به دولة الاحتلال بعد إسقاط المضادات الجويّة السوريّة المُقاتلة من طراز إف 16؟.

## في العلاقة بين النُخبة المصرية وثورة 25 يناير

**أحمد طه العربي الجديد 25\2\208**

".. فالعوامل الداخلية والعوامل الخارجية قد اشتركت، إذن، فيما آل إليه مصير الثورة العرابية من الإخفاق، وما انتهت إليه من الاحتلال، ولا تصرفنا هذه الملابسات على أن نتعرّف الحقيقة المؤلمة التي تبرز من خلال الحوادث، فنأخذ على أسلافنا في الثورة أنهم، في الجملة، لم يضطلعوا بأعبائها، ولم يبذلوا لها وللوطن كل ما يجب من إخلاص وكفاءة وتضحية، وإيثار للمصالح القومية على العوامل الشخصية، ولو أنهم بذلوا ذلك كله لتغيّر مصير الثورة إلى خيرٍ ممّا كان، فليكن لنا في هذه الناحية والنواحي الأخرى من تاريخ الثورة عِبر وعِظات وحقائق وبيّنات، تُطالعنا بما يجب أن يكون عليه الجهاد الخالص لله والوطن". .. بهذه العبارات الموجزة الحاسمة، اختتم شيخ المؤرِّخين المصريين، عبد الرحمن الرافعي، جوابه المطوّل على سؤاله: لماذا أخفقت الثورة العرابية؟ في نهاية كتابه "الثورة العرابية والاحتلال الإنكليزي". ومن الواضح من جوابه أنّه يُحمِّل مسؤولية فشل الثورة على النخبة الثورية.

وتجدر الإشارة إلى أن الثورة العرابية كانت سابقة لعصرها بمراحل كبيرة، فقد انطلقت من شعار "مصر للمصريين" الذي جمع بين ضبّاط الجيش الوطنيين ورجال الحركة الوطنية، وأزمعت الثورة إعلان الجمهورية، بيْد أنها تردّدت في عزل الخديوي، ولم تتخذ إجراءات حاسمة لتفكيك الأوضاع القديمة، وشبكات أصحاب المصالح من كبار الباشوات المصريين، وحلفائهم الأجانب، بعدما دبّ الانقسام في صفوف الثوريين الذي أدّى إلى إجهاضها كلياً.

وإذا عقدنا مقارنة بين الثورتين، العرابية و25 يناير، وبغضّ النظر عن اختلاف السياق التاريخي، والشخوص، والتفاصيل، لوجدنا أنّ التوصيف الأفضل للمحصّلة النهائية للمشهديْن هو المقولة الماركسية: "التاريخ يُعيد نفسه ... في المرة الأولى تكون مأساة، وفي الثانية تكون ملهاة"، فالقاسم المشترك الأكبر بين المشهديْن هو الانقسام النخبوي الذي أهدر فرصة تاريخية على الوطن. بيْد أنّ الثورة العرابية كانت أفضل حالاً وأحسن حظّاً من ثورة 25 يناير، فقد كانت بقيادة ثورية معروفة ومحدّدة، بعكس الثانية التي جاءت من دون رأس أو قيادة، ما جعلها مطيّةً لكل راكبٍ، وكلأً مستباحاً لكل مدعٍّ من أدعياء الثورية الكاذبة. وبلغ الأمر أننا رأينا الخَليَّ يدّعي حُرقة الشَجيِّ من دون حياء أو خجل، فقد كان لبعضهم تاريخ معلوم للكافة في التطبيل والتزمير للسلطة، ثمّ تحوّل، بين عشية وضحاها، إلى رمز ثوري ومناضل مغوار (!).

بالطبع، لا يمكن مقارنة النُخبة السياسية المصرية، في نسختها الأخيرة، بنظيراتها في حقبٍ سابقة، فهي بكل ألوانها الأيديولوجية "خارج المنافسة"، فهي النخبة الأحطّ والأسوأ والأردأ في تاريخ مصر الحديث بالكامل، من حيث الوعي السياسي، والتكوين المعرفي، والثقافي والأخلاقي، كونها النتاج الطبيعي لعصر حسني مبارك عصر التجريف الكامل للتربة المصرية على كلّ المستويات، إلا أنّ الأخطاء تتشابه، وكادت أن تتطابق بصورة شديدة المأساوية (!).

تحقق في 11 فبراير/ شباط 2011 إنجاز تاريخي غير مسبوق في تاريخ الحركة الوطنية المصرية، فقد نجح المصريون، لأول مرّة، في إطاحة حاكم بإرادتهم الشعبية الحرّة دون سواها، عندما نجحت ثورة 25 يناير في خلع حسني مبارك بعد نحو 30 عاماً له في سدّة السلطة، ثالث أطول حاكم في تاريخ مصر كلّه بعد رمسيس الثاني ومحمد علي. حينئذٍ عمّت الفرحة مصر من أقصاها إلى أقصاها، بعدما شعر جموع المصريين أنّ الوطن وطنهم جميعاً، وأنهم أصحاب السيادة والكلمة العليا، وأنهم يستنشقون عبق الحرية، فقد كان المشهد الاحتفالي في مصر، في ذلك اليوم، بمثابة استفتاء شعبي على مدى التأييد الأسطوري الكاسح لثورة 25 يناير، في مواجهة نظام سلطوي فاشل، كاد أن يكون توريثاً من الأبّ إلى الابن، إلا أنّ ما جرى بعد ذلك ينطبق عليه قول الشاعر: أَمَلٌ رَجوناهُ وبِتنا نَرْقبه/ حتّى إذا ما كانَ ضلَّ مَقصدَه.

يعود نجاح ثورة يناير في إطاحة مبارك إلى أنها اندلعت على يد مجموعات شبابية على قدرٍ من التجرّد والإخلاص، بعيداً عن النُخبة السياسية القديمة، بكل أدرانها وأمراضها الأزلية المُزمنة المستفحلة، فهذه نُخبة ألفت مياسرة الفساد ومسايرة الاستبداد، بعدما احترفت الشقاق وخاصمت الوفاق، واتفقت على ألّا تتفق، وكانت اللحظة الوحيدة التي اجتمعت فيها إرادة الجميع، واتحدت خلف مطلب جماعي واحد، هي اللحظة التي أصرّوا فيها على ضرورة رحيل مبارك.

وما إن انتهت اللحظة الاستثنائية، وتمكّن فرقاء النخبة السياسية من إطاحة مبارك، حتى سارعوا بالتفرّق والعودة إلى التمترس خلف الأسوار الأيديولوجية، والتخندق داخل الحصون الفكرية، مع استعادة تاريخ طويل من المرارات والحزازات الأيديولوجية، ما أحدث مناخاً مسموماً، ساده غياب الثقة وسوء الظنّ المُتبادَل. وازدادت الطين بلّة (بالأدق بلّات) مع اندلاع الاستقطاب "النخبوي" الإسلامي – العلماني الذي أدّى إلى حالةٍ عاتيةٍ من الاحتراب الثقافي الفصائلي. وكانت المُحصّلة أن فرقاء النُخبة السياسية كانوا حرباً وناراً على بعضهم بعضاً، في حين كانوا برداً وسلاماً على

شبكات المصالح القديمة من نظام حسني مبارك، حيث كان كل فريق على أتمّ استعداد للتحالف مع النظام القديم، من أجل الإجهاز على الفريق الآخر.

أمّا الشباب فقد وقعوا في أخطاء جسيمة، قادتها حالة السيولة الفكرية والتنظيمية التي ألمّت بهم منذ البداية، أبرزها أنّ بعضهم تضخّمت ذواتهم بسرعة، تحت تأثير أضواء الكاميرات، وزخّات الثناء والإطراء الإعلامي على "شباب الثورة"، بالإضافة إلى وقوع بعضهم في فخّ الزعامة "الافتراضية" تحت وقع العدد الكبير من المُعجَبين والمُتابعين لصفحته في الفضاء السيبيري، فقد كان بعض الشباب يتحدّث عن المجلس العسكري وكأنّه يأتمر بأمره، ورهن إشارته، من دون حصافة أو تقدير راجح لدوره في إطاحة مبارك، ومن دون إدراك للحقائق وموازين القوى على الأرض، كما لم يفرّق بعضهم بين آليات الهدم وآليات البناء، فخلط بين وظيفة الحركة الاحتجاجية أو جماعات الضغط الجماهيري، ووظيفة الحزب السياسي، فظنّ أن الثورة تعني "الاحتجاج الدائم"، وكانت المحصّلة انقسام الشباب على عشرات الائتلافات الثورية، المصحوبة بموجة من التخوين المُتبادَل فيما بينها.

وبذلك، كانت المُحصّلة النهائية هي إعادة تدوير المُخلّفات السياسية، وعودة تلك الوجوه البالية المُستهلَكة من نفايات النُخبة القديمة المُحنّطة التي فقدت شرعيتها منذ زمن بعيد، بكل أطيافها وألوانها الأيديولوجية، وأشهرت إفلاسها السياسي والفكري والأخلاقي، والتي باتت جزءاً من المشكلة، ولن تكون بأي حال جزءاً من الحلّ، فصارت عقبةً كأداء أمام مستقبل الوطن، بعدما أهدرت فرصة تاريخية للتحوّل الديمقراطي، ما يفرض عليها أن تتوارى وتختفي من صدارة المشهد، وتذهب إلى مكانها الأليق: متحف التاريخ.

# التطبيع: هشاشات ورخاوات ما بعد الأيديولوجيا

**خالد الحروب الحياة 25\2\2018**

ردات الفعل الناقمة على سيطرة أيديولوجيا مُعينة لفترة طويلة من الزمن تتسم في كثير من الأحيان بتطرفات حادة تنافس تطرف الأيديولوجيا المنقوم عليها. تكاد تكون هذه الملاحظة مشتركاً عاماً في حالات تتجاوز الحصر وبما يقربها من قانون الفيزياء الذي يشير إلى رد الفعل المساوي للفعل في القوة والمُعاكس له في الاتجاه.

حيثما تطرفت اشتراكية السوق مثلاً وامتدت هيمنتها عقودا طويلة على شعب هنا أو هناك ثم انهارت، اندفع السوق الحر بتطرف لا قيود عليه ليزيل أي اثر لتلك الاشتراكية ومُسبباً كوارث خاصة به. وحيثما تطرف الالتزام بالدين والتدين قسراً على مجتمع هنا أو فضاء هناك، فإن التحلل منهما يقفز إلى أقصى مدى فور بروز إمكانية التخلص من تلك القسرية الدينية. وحيثما تطرفت العلمانية في التدخل في شؤون ومسلكيات الأفراد على الضد من جوهرها الأصلي، كما في تركيا أتورك مثلاً، فإن النكوص عنها باتجاه خصمها الأيديولوجي يكون سريعا وحاداً أيضاً عندما تحين الفرصة. وفي تحولات وانديا‌حات العولمة في العقود الأخيرة شهد العالم الظاهرة ونقيضها، فسيطرة العولمة «وأيديولوجيتها» التي رآها كثيرون، بحق أو مبالغة، مجرد «غربنة» انتجت ارتدادات عديدة في رقاع العالم إلى الثقافات المحلية والتمسك بها، وأحياناً إلى حد التعصب والبله.

في كل هذه الارتدادات بين الأيديولوجيا ونقيضها ثمة نقطة أساسية تتوقف عندها هذه السطور وهي نشوء هشاشات ورخاوات ما بعد الأيديولوجيا خلال الحقبة التي تلي انهيار أيديولوجيا ما أو فكرة كبيرة ما. ففي هذه الحقبة تختلط أمزجة التحرر من السيطرة المديدة للأيديولوجيا المُنقضية مع البحث المُتعجل عن بدائل سريعة مع الانحياز التلقائي وأحياناً الأعمى للفكرة المُضادة تماماً لتلك الأيديولوجيا. قد تطول أو تقصر حقبة ما بعد الأيديولوجيا المُنهارة، وقد تتطور أيديولوجيا أو فكرة مُهيمنة جديدة، أو عدة أفكار تتفاوت في الصلابة والليونة، أو قد تأخذ الأمور شكلاً أو أشكالاً أخرى مختلفة تماماً.

لا خلاف، تقريباً، على توقع المآلات التي تنتهي إليها أي أيديولوجيا تفقد ثوريتها الأولية ثم تتحول إلى كتلة مصمتة ومتطرفة ولا تعدل ذاتها استجابة لسياقات الواقع. لكن في ذات الوقت لا يبرر هذا التوقع والتقدير الإسترذال المُسطح عند كثيرين لفكرة الأيديولوجيا ودورها في حركة التاريخ والانتفاض على التكلسات التي

تشل الشعوب والمجتمعات. ويتبدى إسترذال الأيديولوجيا والتفنن في شتمها في اتفه صوره عندما يصدر عن أنصاف جهلة علاقتهم بالثقافة والفكر وحركة التاريخ صبيانية وطائشة. صحيح أن تاريخ القرن العشرين، بنازيته وستالينيته وفاشيته على وجه التحديد، قد الحق بالأيديولوجيا كل سوء، لكن من الصحيح أيضاً أن في ذلك ابتسار مُخل وكبير بفكرة الأيديولوجيا من الأساس، وهي التي تنطوي على معان ومفاهيم متعددة. الأيديولوجيا في الأصل هي علم الأفكار واللفظة الانجليزية ideology مركبة من كلمتي أفكار وعلم idea و logy تماماً مثل سوسيولوجي أو بيولوجي، علم الاجتماع أو علم الأحياء على الترتيب. أو عند البعض هي علم اجتماع المعرفة. لكن المعنى الاصطلاحي لـ «أيديولوجيا» هو الذي سيطر على الخطاب الثقافي والسياسي وهو المعنى الذي يشير إلى الأيديولوجيا بكونها مجموعة من الأفكار والمبادئ المترابطة عضوياً، والتي تقدم في مجموعها رؤية محددة للإنسان والعالم والتاريخ، وتدفع باتجاه مستقبل معين بكونه الأفضل للمجتمع أو المجتمعات التي تخاطبها وتستهدفها تلك الأفكار (الأيديولوجيا). مع توالي الحقب الزمنية وفي جغرافيات الأرض المتنوعة لم يكن للعالم وشعوبه أن تتقدم في مسيرتها البشرية من دون الأيديولوجيا، جزئية كانت أم متكاملة. التحولات الكبرى والثورات الإنسانية والانتقالات العريضة بالمجتمعات كانت نتاج حركة الأفكار وتفاعلها وانطلاقتها نحو التغيير. يمكن القول باختصار إن ثمة أيديولوجيا مرنة وأخرى مصمتة قاسية، الأولى ذات فاعلية إيجابية وحركية ومنفتحة على التعديل، والثانية مغلقة على ذاتها تتطور عنها ومعها نزعة تسلطية وقمعية.

في الفضاء العربي ومنذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى الآن حضرت أيديولوجيات متنافسة الليبرالية والقومية العربية والاشتراكية والاسلاموية، وهناك أيضاً «أيديولوجيا الحفاظ على الأمر القائم». تُرجمت هذه الأيديولوجيات على شكل رسمي حكومي أو نخبوي سياسي أو ثقافي، بمعنى أن بعض الأنظمة العربية تبنت هذه الأيديولوجيا أو تلك سواء عن قناعة أو تضليل أو خليط من الإثنين، بينما ظلت هناك نخب بعيدة عن الأنظمة الحاكمة مُقتنعة بهذه الأيديولوجيا أو تلك كمجموعة أفكار فعالة، وبأمل إحداث تغيير إيجابي في المجتمعات العربية، أو في قدرتها على مواجهة التحديات المفروضة عليها من الخارج. بعض تلك النخب دائر في فلك الأنظمة القومية والاشتراكية، وبعضها كان مُطارداً من قبلها أو ناقداً لها. لكن في المحصلة وفي نظرتها لإسرائيل والعلاقة معها تبنت الأيديولوجيات الأربع الأولى سواء على الصعيد الرسمي أم غير الرسمي خطابات غير مهادنة ومعادية، وبدرجات متفاوتة. الفشل السياسي والعسكري

الرسمي، خصوصاً الناصري والبعثي، في المواجهة مع الدولة العبرية أفقد هذه الأيديولوجيات الصدقية وأضعفها إلى درجة كبيرة. لكن وبعيداً عن المساحة الرسمية بقيت كثير من العناصر المُشكلة لأيديولوجيا القومية العربية أو الماركسية العربية أو أي نزعات ثورية ومقاومية موجودة وذات تأثير مهم في الفضاء العربي العام. إلى جانب تلك الأيديولوجيات الواضحة كان ثمة «أيديولوجيا الحفاظ على الأمر القائم»، أو ربما يمكن أن ننحت لها وصف «الأيديولوجيا العربية المُحافظة»، الحاضرة والقوية، والمتأسسة على فكرة واحدة هي الدفاع عن الوضع القائم في هذا البلد أو ذاك، وهي كسائر الأيديولوجيات الأخرى تُرجمت في شكل أنظمة سياسية ونخب قريبة منها. ظلت هذه الأيديولوجيا مُفرغة من أي منظومة أفكار عضوية ومتماسكة تجاه أي قضية من القضايا الكبرى، بما فيها النظرة والموقف من إسرائيل، لأن أولويتها غير المهادنة كانت وبقيت متجذرة في هم الحفاظ على الوضع القائم. طبعا هناك أنظمة اشتراكية وقومية وغيرها كان الحفاظ على الوضع القائم والحكم فيها هو الأولوية الجوهرية، وقد تشاركت مع أنظمة الأيديولوجيا العربية المُحافظة في تلك الأولوية.

بعد زيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس في أواخر السبعينات وما تبعها من اتفاقيات سلام كامب ديفيد، انحصر ذلك السلام في الدائرة الرسمية وظل سلاماً بارداً، وانسدت كل أوجه التطبيع في وجه المحاولات الإسرائيلية. كان السبب وراء ذلك هو امتلاء المشهد النخبوي والسياسي والثقافي المصري بخطابات صلبة من الإرث القومي العربي والماركسي والناصري والإسلاموي. الآن وفي مرحلة أفول الأيديولوجية القومية العربية والماركسية وتهلهل الأيديولوجية الليبرالية العربية وتسطحها رسمياً، وتبعثر الأيديولوجيا الإسلاموية بين العنف وغياب البوصلة والإنجاز الحقيقي، تبدو «أيديولوجيا المحافظة العربية» مُسيطرة على مساحة كبيرة من الفضاء العام العربي. وفي الجانب الخاص بموضوع هذه السطور يمكن ملاحظة أثر غياب الأفكار المتماسكة والصلبة تجاه إسرائيل أو غيرها من التحديات الكبيرة، وانعكاس ذلك على استسهال مسألة التطبيع معها. الفراغ الأيديولوجي الناشئ في المنطقة العربية في اللحظة الراهنة أزاح المواقف الصلبة والمبدئية إزاء إسرائيل بكونها دولة كولونيالية استيطانية واحتلالية وقائمة على الظلم وتعتمد أيديولوجيا صهيونية اعتبرها الأمم المتحدة في سبعينات القرن الماضي فكرة عنصرية بحتة. وعوضاً عن ذلك تبرز أصوات ودعوات تتصف بالرخاوة والهشاشة والسطحية الفجة التي تنظر إلى إسرائيل ك «دولة عادية» في المنطقة، على غير ما ترى غالبية شعوب ونخب العالم بأسره. أفول الخطابات الأيديولوجية

العقلانية في الفضاء العربي، وعلى أمراضها وتجاوزاتها وإخفاقاتها، يفسح المجال الآن لصعود خطابات انتهازية وطائشة ولا تُعرف لها بوصلة.

# عن الغوطة الشرقية وموت الضمير

**ياسر الزعاترة الدستور 25\2\2018**

أحد مؤيدي نظام الأسد، كتب رافضا المذبحة التي تجري في الغوطة الشرقية تحت أي مبرر سياسي، الأمر الذي قد يرتّب عليه هجاءً من أمثال بهجت سليمان، وبعض الرفاق اليساريين والقوميين ممن لا يجدون أي مبرر لانتقاد النظام المجرم، ولو أحرق الأرض ومن عليها، كما لا يجدون أي معضلة في التدخل الإيراني والروسي، ولو هجاهم علي أكبر ولايتي باعتبار أنهم يريدون سرقة إنجازات "الولي الفقيه" في العراق، ولا يرون إشكالا في عناق بوتين نتنياهو، ولو قدّم له ما يشاء من ضمانات في سوريا، ولن يتوقفوا عند قول نائب سفيره (سفير بوتين) في تل أبيب إن بلاده ستقف بجانب الكيان الصهيوني إذا تعرض لـ"عدوان إيراني"!!

في سوريا، لم تُفتضح الشعارات الكاذبة (من شعار الحسين، إلى شعارات القومية، واليسار والمقاومة والممانعة) وحسب، بل افتضحت أيضا الضمائر الخربة التي صمتت على قتل الطفل حمزة الخطيب في أقبية بشار (حزيران 2011)، قبل أن تطلق رصاصة واحدة في الثورة، تماما كما صمتت على كل المجازر التالية التي تابعها العالم أجمع بالصوت والصورة.

الضمائر المعطوبة لا حلَّ لها، وهي نهاية الإنسان من حيث هو إنسان، ذلك أن من يبرر قتل الأطفال بدعوى محاربة الخارجين على النظام؛ إنما يعلن موت إنسانيته، ذلك أن قتل الأبرياء من قبل أي نظام لا يمكن أن يقبله ضمير ولا أي منطق قانوني، حتى في حالات الاحتلال المباشر.

هل نكرر على مسامع هؤلاء فضح الشعارات الكاذبة التي تم من خلالها تبرير التدخل الإيراني مثلا، والتي تمثل انقلابا على أساس مبدأ الولي الفقيه، وثنائية (الحسين ويزيد) المعروفة، أو فضح الموقف الروسي الذي ينتمي لمنطق "الدول الإمبريالية"، ولا صلة له البتة بالمقاومة والممانعة، أو نقض أوهامهم حول الموقف الأمريكي الذي كان ولا يزال ضد الثورة، ولا يعنيه سوى استمرار الحرب لاستنزاف الجميع، وهو من ضغط على كل القوى لمنع السلاح النوعي عن الثوار؟!

قد يثير تكرار ذلك بعض الملل، لكن ذلك كله شيء، وتبرير قتل الأبرياء، ومنهم جحافل من الأطفال، فضلا عن تجويعهم، وحرمانهم من الأدوية، شيء آخر. شيء يعبر عن موت الضمير في أوضح صوره على الإطلاق.

حين وقفنا مع الشعب السوري، لم نسأل عما إذا كان سينتصر أم لا، وقلنا ذلك مرارا منذ الشهور الأولى للثورة، بل وقفنا معه، لأنه شعب خرج يطلب حريته من طاغية فاسد ضمن موجة الربيع العربي، بصرف النظر عن أي مواقف أخرى، ونذكّر هؤلاء بموقف الولي الفقيه وأتباعه من صدام حسين، حين كان يتناقض تماما مع اليساريين والقوميين، ولاعتبارات طائفية صرفة، فضلا عن موقفهم من المقاومة العراقية ضد الاحتلال الأمريكي، ودفاعهم، ومنهم نصر الله نفسه، عمن كانوا يعانقون الغزاة، ويتعاونون معهم ضد المقاومة.

سوريا هي فضيحة الشعارات السياسية والطائفية، وفضيحة الضمائر أيضا. وفضيحة الضمائر أكبر بكثير (يجتمع البعدان في كثيرين بالطبع)، مع أن الأولى مهمة أيضا، ولن يغير شيئا في المشهد ما يجري على الأرض من مآلات الصراع الذي سيتواصل إلى زمن لا يُعرف مداه، ولن ينتهي كما يريد القتلة وحلفاؤهم؛ بخاصة إيران التي كانت تسيطر على البلد فصارت تابعا لروسيا، مع أن انتصار طاغية على شعبه، بقتل وتهجير الملايين وتدمير البلد ليس انتصارا في عُرف من لديهم الحد الأدنى من الحسِّ الإنساني.

## عن سوريا وشعبها - إلى من ستتجه أصابع اتهام التاريخ؟

**عمرو حمزاوي العربي الجديد 25\2\2018**

روسيا وإيران وحزب الله وتركيا وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والسعودية ومصر، هؤلاء هم بترتيب الأهمية الفاعلون الإقليميون والدوليون الأساسيون فى المقتلة السورية. جاءت بهم جميعا حسابات المصالح والنفوذ والمخاطر الأمنية، وتبنوا منذ ٢٠١١ سياسات متناقضة، ولم تتوافق أغلبيتهم سوى على مواجهة داعش وتقويضها.

الحقيقة المريرة هى أن إيقاف المقتلة السورية لم يكن من بين أولويات الفاعلين الإقليميين والدوليين، مثلما لم تكن حماية المدنيين من جرائم الإبادة التى يرتكبها نظام بشار الأسد ومن جرائم عصابات الإرهاب من الأولويات. بل إن فاعلين كروسيا وإيران وحزب الله تحولوا عملا إلى شركاء فى جرائم الأسد وغاراته الكيماوية على المدنيين والبراميل المتفجرة التى يسقطها على المدن والقرى، كما فى غوطة دمشق اليوم. وصارت تركيا بتدخلاتها العسكرية شريكا مباشرا فى الحرب الأهلية الدائرة على الأرض السورية بين نظام الأسد ومعارضيه وبينه وبين جماعات الإرهاب وبين الجميع مجموعات كردية تخدم الولايات المتحدة الأمريكية تارة والأسد أخرى.

وبينما تواصل إسرائيل اعتداءاتها على البلد العربى وقصف مواقع متنوعة، تريد الولايات المتحدة بعد أن أسهمت فى تقويض داعش الاحتفاظ بوجود عسكرى على الأرض السورية. وفى جميع هذه السياقات، لم تتجاوز الأهمية الفعلية لإيقاف المقتلة وحماية المدنيين حدود البيانات الدبلوماسية والمؤتمرات الدولية والتهديدات منزوعة المضمون بمعاقبة الأسد «إن عاد واستخدم السلاح الكيماوى ضد شعبه» (كالسياسة المعلنة للرئيس الأمريكى السابق باراك أوباما التى لم تدخل أبدا حيز التنفيذ العملى).

***

واليوم وبينما تتواصل فى الغوطة وعفرين المقتلة التى أسقطت أكثر من نصف مليون سورى، يتنصل الجميع من المسئولية. فتعلن روسيا وإيران وحزب الله أن الأسد يواجه الإرهاب فى غوطة دمشق وأن مساعدته عسكريا تتسق تماما مع جهود القضاء على الإرهاب. وليذهب الأطفال والنساء والرجال فى الغوطة إلى الجحيم. وتركيا تدعى أن عملياتها العسكرية فى عفرين لا تستهدف سوى مجموعات مسلحة إرهابية تهدد الأمن القومى التركى وتتخذ من الأرض السورية نقطة انطلاقها. أما الخلط المتعمد بين

مجموعات إرهابية وبين مجموعات كردية سورية فتتجاهله السياسة التركية، شأنه شأن ضحايا العمليات العسكرية من المدنيين. وليذهب الأطفال والنساء والرجال فى عفرين إلى الجحيم.

أما الولايات المتحدة وفرنسا فتسارعان إلى العمل على استصدار قرار من مجلس الأمن يقضى بفرض هدنة شاملة فى سوريا لمدة ثلاثين يوما، على الرغم من علم الدولتين بالرفض الروسى لقرار كهذا وإدراكهما لاستحالة تمرير ما يريدان بشأن سوريا دون موافقة فلاديمير بوتين. وهناك أطراف أخرى كمصر تتحدث عن استعادة توافقات «المناطق الآمنة» لإيقاف استهداف المدنيين، علما بأن الغوطة كانت من بين تلك المناطق وتتصل بشأنها الأسد من توافقات الماضى القريب. وليذهب الأطفال والنساء والرجال فى جميع أرجاء سوريا إلى الجحيم.

هؤلاء الفاعلون الإقليميون والدوليون الأساسيون هم الذين يخونون اليوم حق الشعب السورى فى الحياة، ويشاهدون بدم بارد الدماء المسالة فى الغوطة وعفرين. وإليهم، بعد نظام الأسد المتورط فى جرائم إبادة وعصابات الإرهاب المتورطة فى جرائم ضد الإنسانية، ستتجه أصابع اتهام التاريخ. لا ينتظر السوريون من الأسد غير الإبادة ومن داعش غير القتل وسفك الدماء. إلا أنهم كانوا ينتظرون من القوى الإقليمية والدولية العمل الجاد على إيقاف المقتلة.

# تم بحمد الله